ألنَا مدارس نحويّة؟

لقد حلا للدارسين في عصرنا كلمة «المدرسة» فذهبوا بها مذهباً قد لا يرضي العلم. إن هذه «الكلمة» العربية قد عرفناها كلمة تاريخية استعملها المسلمون في عصور حضارتهم فكان من ذلك المدرسة النظامية في بغداد، فالمدارس النظامية في أمصار أخرى، والمدرسة المستنصرية ومدارس بلاد الشام ومدارس مصر والمدارس الأخرى في سائر البلاد الإسلامية. وهذه المدارس مدارس حقيقية ينتسب إليها طلاب العلم فيدرسون العلوم المختلفة.

ثم جاء العصر الحديث فصار العرب يتطلعون إلى ما عند الغربيين من علوم ومعارف، وقد وجدوا أن الغربيين تجاوزوا في استعمال «المدرسة» المألوف المعروف فكانت لديهم مثلاً المدرسة الكلاسيكية في الأدب والفن والمدرسة الرومانتيكية، والمدرسة الرمزية والمدرسة الطبيعية وغير هذا.

وتعني هذه المدارس الغربية ما نعنيه نحن في كلمة «مذاهب» كمذاهب الفقه الإسلامي المعروفة نحو مذهب الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام الشافعي وسائر مذاهب أهل السنّة ومذاهب الشيعة كالمذهب الجعفري. ولكل مذهب من هذه المذاهب طريقة خاصة تقوم على نظر خاص ودلائل خاصة.